يقول المتنبى[1] :

شوائل تشوال العقارب بالقنا لها مرح من تحته وصهيل

فهذه الخيل ترفع أذنابها عند الجرى ، وهذا دليل على قوتها . وهى فى هذه الهيئة تشبه العقارب التى لقبت الواحدة منها بالشوّالة[2] بسبب ارتباط هذه الحال بها غالبا أثناء الجرى دليلا على فرط القوة والنشاط ، مهما كانت صعوبة الظروف الطبيعية التى تتقلب فيها إنّ خيل سيف الدولة أخذت من العقارب خفتها وحيويتها ونشاطها مهما كانت الظروف ، فهى ترفع أذنابها كالعقارب ، وفرق بين العقارب وخيل سيف الدولة أنّ حمة كالعقارب، بمعنى سمها خلفها ، أى فى أذنابها الشائلة . وأنّ حمة خيل سيف الدّولة أمامها ، فى أسنة فرسانها . ولذلك استدرك المتنبى بلفظة « القنا » يقول : شوائل تشوال العقارب بالقنا . إنّ الخيل تشول كالعقارب بأذنابها ، ولكنها تختلف عن العقارب التى تلسع وتؤذى بأذنابها ، إذا أنها تلسع وتؤذى بأسنة فرسانها . « قال أبو الفتح (بن جنى) شبه القنا مع الخيل بأذناب العقارب إذا شالت بها . والتشوال يرادبه المبالغة والكثرة »[3] والتشوال أكثر ما يكون فى الخيل عند الجرى ، ثمّ دلّ على نشاطها بمراحها ، وعلى عزة نفسها بصهيلها »[4] .

ونحن إذا تجاوزنا نشاط العقرب ، واستطعنا أن نتجاهل أذاها ونتناساه ، وقد قال الشاعر المعاصر :

إنّ الأذيّة من طباع العقرب

واستطعنا أن نفصل بين مارسخ فى أنفسنا من اشمئزاز منها وبغض لها ، وبين حظ شكلها نسبيا من الجمال مجردا نستطيع أن ننتهى إلى أن لها حظها من الجمال فى المظهر ، على الرغم من قبح المفعول والمخبر . هل تدبرت على سبيل المثال شكلها الانسيابى إلى الوراء ، والذى يتجه إلى الصغر عموما ، حتى ينتهى آخر الأمر إلى

---

(١) التبيان شرح ديوان أبى الطيب المتنبى للعكبرى ٣/٩٩ وانظر فى المناسبة مثلا تعليق العكبرى ص ١٠٤ على البيت الثامن والثلاثين . والبيت الثانى عشر وفيه ذكر سيف الدولة والبيت التاسع والأربعين وفيه ذكر اسم سيف الدولة على .

(٢) انظر القاموس « شول » .

(٣) التبيان شرح الدّيوان ٣/٩٩

(٤) نفسه ٣/٩٩

حمتها[1] هل تدبرت اتجاه فصوص ذنبها إلى الصغر باستمرار ؟ إنّا لو اسطتعنا أن ننسى إلى حين اشتمال هذه الفصوص على السم وتدبرناها من زاوية الشكل فقط وحظ هذا الشكل من الجمال أو القبح ، لتبينا أنّ له حظه النسبيّ من الجمال .

ونحن إنّما وقفنا عند هذه الحشرة ، بقصد اتخاذها دليلا على أنّ كل ما فى هذا الوجود من مخلوقات ، له حظه النسبى من الجمال ، إضافة إلى حظه الكامل من العمل كى يقوم بإرادة الله تعالى بالدور الذى أراد ربّ العزّة له أن يقوم به فى هذه الحياة . ونحن إذا كنا تبينا مثل هذه النسبة فى حظ الشكل من الجمال والقبح فى مثل هذه الحشرة ، المعروفة بالنشاط والقوة ، وقد عرفنا أن القوة مظهر من مظاهر الجمال ، فكيف بالأنواع الأخرى من أجناس الحيوان التى يغلب عليها الخيرية والجمال ؟ وكيف بالنبات وما ارتبط به مثلا من أزهار وورود ورياحين وما إلى ذلك ؟ رغم عمرها القصير ظاهرا الطويل حقيقة وباطنا وقد قلت فى هذا المعنى .

أجمل الأشيـــاء طرّا ... أقصر الأحيـاء عمـرا
هذه الوردة قد نا ... مت وبَعْدَ الوقت ظُهْرا
لم تمت فى الحقّ إلاّ ... بعد أن جادتك عطرا
أثلجت صدرى لهذا ... أضحكت من فىّ ثغرا
فإذا أبصرت شخصا ... خلته قد صيغ بشرا
وإذا أبصرت شيئـاً ... خلتـه يختـال طهـرا

وكيف بالطبيعة التى لو تدبرنا كل عنصر فيها على حده ، لتبينا حظه الموفور من الجمال ؟ وكيف بنا إذا تجاوزنا الجماد والنبات والحيوان إلى الإنسان الذى كرّمه ربُّه وخلقه فى أحسن تقويم وصوره فأحسن صورته ؟ وقد قال عز من قائل[2] : ﴿ **ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** ﴾ وقال[3] : ﴿ **الله الذى جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ، ذلكم الله ربكم**

---

(١) الحمة بضم الحاء الإبرة التى تضرب العقرب بها . والجمع حمات وحمى .
(٢) سورة الإسراء ٧٠
(٣) سورة غافر ٦٤

فتبارك الله ربُّ العالمين وقال[1] : **خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير** إن الجواب البليغ على حظ الإنسان الموفور من الحقيقة والجمال معاً ، نتبينه فى قوله تعالى[2] : « **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** » .

أما وقد عرفنا أن الإنسان هو صاحب الحظ الموفور من الجمال ، إضافة إلى كونه هو المخلوق الذى قَبِلَ بلسان المقال أو بلسان الحال العرض عليه بحمل أمانة التكاليف ، وله إن أحسن ثواب أعماله ، وعليه إن أساء وزرها ، وذلك بعد أن أبت قبول العرض السماوات والأرض والجبال وأشفقن من حمل الأمانة ، بلسان الحال أو بلسان المقال ، فإنّا نودّ أن نعرف موقف جنس الإنسان من الحقيقة والجمال هذا الإنسان الذى له حظه الموفور من الجمال ، ومن الاستعداد للوفاء بما عاهد الله تعالى عليه من قبول حمل الأمانة .

موقف الإنسان من الحقيقة والجمال

إذا نحن نظرنا إلى كلّ خير فى هذا الوجود ، فإنّا نستطيع أن نعيده إلى رسل الله تعالى ، الذين ابتدأوا بنوح عليه السّلام ، وانتهوا بمحمّد بن عبد الله ﷺ . وهذا معناه أنّ كل خير فى هذا الوجود إنّما مصدره الدّين والوحى السماوى ونحن نستطيع أن نفهم أنّ ذرية آدم عليه السلام ، بعد أن هبط هو وزوجه حوّاء إلى الأرض ، كانت تهتدى بنور تعاليمه عليه السلام . ومن الطبيعى أن تستمر هذه التعاليم لأجيال وأجيال ، ومن الطبيعى أن تأخذ الذرية بمرور الأيّام فى الابتعاد عن صفاء تلك التعاليم ونقائها . وبذلك كانت الحاجة ماسة لإرسال ربّ العزة رسله من أجل إعادة البشرية إلى الصراط المستقيم . وكان نوح عليه السلام أوّلهم . ومن الطبيعى أن تتكرر بمرور الأيام الأسباب نفسها التى تدعو إلى إرسال رسول وإنزال كتاب ، خاصة وأنّ الكتب السماوية السابقة على القرآن الكريم لم يتكفل ربّ العزّة بحفظ أى منها . ومن الطبيعى أن يختلف الناس كذلك رغم مجىء العلم إليهم . وربما بلغ الأمر ببعضهم حدّ البغى والعدوان وقتل بعضهم بعضا ، إلى أن شاءت العناية الإلهية إرسال خاتم

---

(١) سورة التغابن ٣

(٢) سورة الذاريات ٢١

الأنبياء والمرسلين محمّد بن عبد الله ﷺ . الذى أنزل الله تعالى عليه أشرف كتبه وآخرها القرآن الكريم . الذى تكفل ربّ العزّة بحفظه إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها . وإنّ حفظ الله تعالى كتابه العزيز ورعايته سنة حبيبه المصطفى ﷺ ، المبيّنة للقرآن الكريم ، أهمّ الأسباب المهيّئة والموجبة لختم النبوة بمحمد بن عبد الله ﷺ . لقد أشارت هذه الآية الكريمة من سورة البقرة إلى اختلاف النّاس بعد أن كانوا أمة واحدة ، وإلى اختلافهم بعد ذلك . وقد أرسل الله تعالى إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه . قال تعالى[1] : ﴿ **كان الناس أمّة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وما اختلف فيه إلاّ الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ ومن القضايا التى نودّ أن ننظر إلى موقف الإنسان منها خلال العصور ، قضية الحقيقة والجمال . وبما أن كل خير فى هذا الوجود إنّما مصدره رسل الله تعالى وأنبياؤه الموحى إليهم ، وبما أنا نودّ أن نقف على نظرة الدين السماوى عموما إلى هذه القضية ، وبما أن الكتاب السماوى الوحيد الذى تكفل ربّ العزّة بحفظه هو القرآن الكريم المصدق لما بين يديه من الكتب والمهيمن عليها كما نصّ على ذلك القرآن الكريم ، وبما أنّ هذا الكتاب العزيز الذى قال الله تعالى فى حقه[2] : ﴿ **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل** ﴾ هو عين الحقيقة والحق ، وفى الوقت ذاته هو قد أعطى الجمال حقه من الاعتبار والتقدير ، فإنّا نودّ أن نتعرّف على موقف الدين عموما من قضية الحقيقة والجمال ، وذلك عن طريق القرآن الكريم كلمة الله تعالى الأخيرة إلى البشرية . وبما أنّ القرآن الكريم قد أنزله الله تعالى بالحق ، ونزل هو بالحق . فهذا يعنى ضمنا وبداهة ، بشأن قضية الحقيقة والجمال التى نحن بصددها ، عناية الإسلام الكاملة بالحقيقة وتقديمه لها وتفضيله إياها .

ونحن نودّ أن نقف ابتداءً على نظرة القرآن الكريم إلى الشق الآخر من القضية ، أعنى قضية الجمال ، باعتبار هذه النظرة مسعفة لنا على تحديد الجانب المعين المحدود

---

(١) سورة البقرة ٢١٣

(٢) سورة الإسراء ١٠٥

الجوانب من الحقيقة المطلقة ، ذلك الجانب الذى نريد أن نتحدّث عنه ونعنى به . أما هذا الجانب المعين من الحقيقة الذى سنعنى به فهو ذو العلاقة بسورة الأحزاب الكريمة التى تحدّثت عن الحجاب ، إنّه الخاص بعلاقة الذكر بالأنثى ، الرّجل والمرأة . إنّ ثمة حقيقة وجمالا . وإنّ القرآن الكريم ليعنى كل العناية بالحقيقة فى هذا الجانب ، كما أنه لا يغفل جانب الجمال كلية . فلنحاول أن نقف ابتداءً على .

نظرة القرآن الكريم إلى الجمال

لقد عرفنا العناية المطلقة للقرآن الكريم بالحقيقة . والقرآن الكريم وراء ذلك قد أولى الجمال بالعناية وأعطاه حقه . وأنت بتدبرك للقرآن الكريم ، تستطيع دائماً وأبدا ، أن تتبين حظ الحقيقة الأكبر فى القرآن الكريم من العناية دون إغفال لجمال الشكل وجمال المنظر . وسبق أن بينا حظ كل ما فى الوجود من الحقيقة المطلقة ومن الجمال النسبى . ولو أننا تدبرنا حديث القرآن الكريم عن عدد من المخلوقات ، لتبينا اهتماما ملحوظا بالجمال إلى جانب الاهتمام المطلق بالحقيقة . ونودّ أن نضرب بعض الأمثلة على تلك العناية .

لقد نصّ القرآن الكريم على أن خلق السّماوات والأرض أكبر من خلق النّاس . قال تعالى[1] : ﴿ **لخلق السّماوات والأرض أكبر من خلق النّاس ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ لننظر إلى بعض آيات الذّكر الحكيم التى تجمع بين تقرير الحقيقة والإشارة إلى الجمال . جاء مثلا فى سورة فصلت الإشارة إلى تزيين السماء الدّنيا بالنجوم ، إضافة إلى كونها حفظا من الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع . لقد جمع السياق بين خلق الكون ، والسماوات جزء منه ، وبين تزيين السماء الدّنيا بزينة الكواكب . قال تعالى[2] : ﴿ **قل أئنكم لتكفرون بالّذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ، ذلك ربّ العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر بها أقواتها فى أربعة أيام سواءا للسائلين . ثمّ استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدّنيا بمصابيح وحفظا ذلك**

---

(١) سورة غافر ٥٧

(٢) سورة فصلت ٩ - ١٢

تقدير العزيز العليم » وقال تعالى[1] : ﴿ الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرّحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير . ولقد زينا السماء الدّنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير ﴾ وقال تعالى[2] : ﴿ إنّا زينا السماء الدّنيا بزينة الكواكب . وحفظاً من كل شيطان مارد . لايسّمّعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب . دحورا ولهم عذاب واصب . إلاّ من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب ﴾ . وقال تعالى[3] : ﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ﴾ وقال تعالى[4] : ﴿ ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين . وحفظناها من كل شيطان رجيم إلاّمن استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ﴾ وقال تعالى[5] : ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ﴾ وجاء فى سورة الفرقان الإشارة إلى البروج وإلى الشمس وإلى القمر المنير . قال تعالى[6] : ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمراً منيرا ﴾ وإلى القمر والشمس جاءت الإشارة فى قوله تعالى[7] : ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجا ﴾ وإلى الشمس السراج الوهاج جاءت الإشارة فى قوله تعالى[8] : ﴿ وجعلنا سراجا وهاجا ﴾ وإلى كون الشمس مصدرا للحرارة فهى ضياء ، وكون القمر غير مصدر للحرارة بل متلقيا لها فهو نور ، جاء قوله تعالى[9] : ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب . ما خلق الله ذلك إلاّ بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾.

---

(١) سورة الملك ٣ - ٥

(٢) سورة الصافات ٦ - ١٠

(٣) سورة الأنبياء ٣٢

(٤) سورة الحجر ١٦ - ١٨

(٥) سورة ق ٦

(٦) سورة الفرقان ٦١

(٧) سورة نوح ١٥ ، ١٦

(٨) ستر النبأ ١٣

(٩) سورة يونس ٥

وفى القرآن الكريم أكثر من إشارة إلى أنّ الله سبحانه وتعالى سخر للإنسان كل ما فى السماوات وما فى الأرض . جاء فى سورة لقمان[1] قوله تعالى : ﴿ **ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** ﴾ وقال تعالى[2] : ﴿ **الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه . إنّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ .

فلنتحوّل من السماء الأشد ضخامة إلى الأرض الضخمة التى نصّت آية سورة غافر الكريمة على أن خلقها هى والسماء ، أكبر من خلق النّاس . ولننظر إلى الأرض الممدوده مقابل السماوات والمرفوعة بغير عمد ، وإلى ما فيها من جبال بمثابة الأوتاد فهى حقائق ، ولها وراء ذلك حظها الموفور من جمال الشكل . وإلى ما فى هذه الأرض من جنات ومن كلّ الثمرات التى جعل الله تعالى فيها زوجين اثنين ، جاء فى سورة الرّعد[3] قوله تعالى : ﴿ **الله الّذى رفع السماوات بغير عمد ترونها ثمّ استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ، يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربّكم توقنون . وهو الذى مدّ الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الأكل . إنّ فى ذلك لآيات لقوم يعقلون** ﴾ . إنّ الجنات تجمع بين كونها طعاما وبين كونها جمالا ، فهى تغذو الجسم بما يحتاجه من طعام . كما تغذو النفس والرّوح عن طريق العين والأنف والأذن ، بألوانها الجميلة ونسائمها العليلة ، وأرواحها البليلة ، وأصواتها الصّدّاحة . حينما أرادت الآية الكريمة الحادية والأربعون بعد المائة من سورة الأنعام لفت الانتباه إلى جانب الحقيقة من ناحية الجنة أشارت إلى الأكل من ثمار الجنة ، وأمرت بإيتاء حقه يوم حصاده . قال تعالى[4] : ﴿ **هو الذى أنشأ**

---

(١) الآية ٢٠
(٢) سورة الجاثية ١٢ ، ١٣
(٣) الآيات ٢ - ٤
(٤) سورة الأنعام ١٤١

جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله.والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه . كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصادة ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » وحينما أرادت الآية الكريمة التاسعة والتسعون من السورة الكريمة لفت الانتباه إلى جمال المنظر إضافة إلى جلال المخبر وحقيقته ، أمرت بالنظر إلى الثمر الذى أثمر وإلى ينعه . وإنما يكون الثمر يانعا إذا أدرك وطاب وحان قطافه ، وكذلك إذا قنأ لونه ، أى إذا اشتدت حمرته ، فاليانع بمعنى الناضج ، واليانع بمعنى الأحمر . وقد لفت بعض الدّارسين المعاصرين الانتباه إلى التنويع فى أسلوب الآية الكريمة ممّا يتمشى مع القول : « انظروا » فنحن مثلا بصدد القول أخرجنا ونخرج . وبصدد القول « فالق » و« جعل » من القول : « فالق الإصباح وجعل الليل سكنا » وبصدد القول : مشتبها والقول غير متشابه[1] قال تعالى[2] : ﴿ **وهو الذى أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كلّ شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ، إنّ فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون** ﴾ .

وإذا كانت آية سورة غافر[3] التى أشارت إلى السماء أوّلا ، الأرض ثانياً ، قد وجهت حديثنا هذه الوجهة ، وكانت آيات سورة الرّعد التى تحدّثت عن السماء والأرض ، وفق الترتيب ذاته ، وأفاضت فى الحديث عن الجنّات ، وقررت حقيقة الجبال من حيث كونها رواسى للأرض وبمثابة الأوتادلها ، قد وجهت حديثنا إلى هذه الجنات ، فالملاحظ وراء ذلك أن هذه الجبال ، المعروفة بصلابتها والتى لها حظها الموفور من الحقيقة ، الذى نبّهت عليه آيات الذكر الحكيم ، قد لفتت آيات الذّكر الحكيم الأنظار إلى حظها الموفور من الجمال . فهاتان الآيتان الكريمتان من سورة فاطر تلفتان النظر إلى ألوان الثمار المختلفة والجبال والناس والدواب والأنعام ، وحظ هذه الألوان من الجمال موفور . قال تعالى[4] : ﴿ **ألم تر أن الله أنزل من السماء**

---

(١) انظر هنا منهج الفتن الإسلامى الفصل الخاص بمشاهد الطبيعة فى القرآن الصفحات ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠

(٢) سورة الأنعام ٩٩

(٣) الآية ٥٧

(٤) سورة فاطر ٢٧ ، ٢٨

ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها . ومن الجبال جدد[1] بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود.ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك . إنما يخشى الله من عباده العلماء . إنّ الله عزيز غفور ﴾.

وحينما نتبين أنّ الآية الكريمة الأولى ربطت بين السماء والماء والثمرات المختلفة ألوانها ، وأنّ للماء النازل من السماء علاقة بالألوان الممثلة كلّها وهى سبعة فى قوس قزح ، الذى يبدو عادة عقب هطول الأمطار واتجاه الجوّ نحو الصفاء ، ندرك عناية السياق بجمال الألوان وجلائها . ولو أنّا تدبرنا هذه الآيات الكريمات من سورة الغاشية التى تلفت النظر إلى عدد من المخلوقات من زاوية المظهر إضافة إلى المخبر ، قال عزّ من قائل[2] : **﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾** لراعنا فى هذا التدبر عرض السياق المعجز لهذه الأنواع الأربعة من المخلوقات ، بحيث إنّ النظر ليرتاح فى تتبعه لها ، والذى يبدأ من أقل الأصناف ارتفاعا عن الأرض التى ينتهى إليها النظر أخيرا . وهذا الصنف الذى يبدأ النظر منه هو الإبل ثمّ يتحول إلى الأعلى ، إلى السماء ، ثم يعود أدراجه نزولا إلى أعلى مستويات الأرض وهى الجبال التى يتمشى ارتفاعها ، وقد يكون شاسعا ، مع قطع البصر المسافة الشاسعة من السماء إلى الأرض . ثمّ ينتهى الأمر بالنظر إلى الأرض التى تسير فوقها الإبل وغير الإبل وتستقر فوقها الجبال وغير الجبال . ولو أنّا تدبرنا عرض السياق الرّائع لهذه المخلوقات الأربعة ، والانتقال المتدرج ، ممّا يرتبط به راحة العين وسعادة النفس ، وتساءلنا فى ضوء عرضنا لجانب الجمال لدى بعض المخلوقات ، عمّا لم نتحدّث عنه من هذه الزاوية لتبينا فى ضوء حديثنا عن السماء والأرض والجبال ، وهى المخلوقات التى عرضت عليها الأمانة فأبين أن يحملنا وأشفقن منها ، أنّا لم نتحدّث بعد عن الإبل وما ارتبط بها من حيوانات تطلق عليها لفظة الأنعام . والمعروف أن لفظة الأنعام تطلق على الإبل أساسا كما تطلق على الإبل والشاء وعلى الإبل والبقر والغنم[3] لننظر إلى حديث

---

(١) الجدد جمع جدّة (بضم الجيم) وهى طريق فى الجبل وغيره . وغرابيب سود عطف على جدد . أى صخور شديدة السواد . يقال كثيرا : أسود غربيب . وقليلا غربيب أسود(الجلالين) .

(٢) سورة الغاشية ١٧ – ٢٠

(٣) انظرالقاموس « نعم »

آيات سورة النحل عن هذه الأنعام أو عن بعض أصناف الحيوان . ونودّ أن نشير على وجه الخصوص إلى لفظتى الجمال والزّينة فى الآيات الكريمة . قال تعالى[1] : ﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلاّ بشق الأنفس ، إنّ ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة . ويخلق مالا تعلمون . وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ .

ولو أنّا نظرنا إلى استعمال القرآن الكريم للفظة زينة ، لتبينا أنها استعملت مرات عدة ، حقا إنّ من هذه الاستعمالات ما هو فى معرض غير الاستحسان حينما لا يحسن البشر أخذ الفائدة والعبرة منها ، ولكن كثيراً من هذه الاستعمالات فى معرض الاستحسان . قال تعالى[2] : ﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدّنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ وقال تعالى[3] : ﴿ إنّا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيُّهم أحسن عملا ﴾ وقال تعالى[4] : ﴿ ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدّنيا ﴾ وقال[5] : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدّنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ﴾ وقال[6] : ﴿ يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا. إنّه لا يحب المسرفين ﴾ وقال[7] : ﴿ وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدّنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون ﴾ .

أما وقد تبينا عناية القرآن الكريم بجانب الجمال فى هذه العناصر الأربعة التى

---

(١) سورة النحل ٥ – ٩
(٢) سورة الأعراف ٣٢
(٣) سورة الكهف ٧
(٤) سورة الكهف ٢٨
(٥) سورة الكهف ٤٦
(٦) سورة الأعراف ٣١
(٧) سورة القصص ٦٠

أشارت إليها سورة الغاشية ، والتى يكوّن النظر أو الخيال دائرة أو ما يشبه الدّائرة أثناء تتبع عناصرها ، وهى على التوالى : الإبل ، والسماء ، والجبال ، والأرض . وبما أنّا سبق أن ألمحنا إلى أن إرداة الله تعالى قد شاءت للإنسان وهيأته أن يكون أعلى مخلوقات الكرة الأرضية خلقاً وخلقا . ومن العلماء من ذهب إلى أنّ الإنسان الصالح من الجائز أن يتجاوز مكانة الملائكة فى العلو والرّفعة . فنحن نودّ أن نتدبّر نظرة القرآن الكريم إلى هذا الإنسان من زاويتى الحقيقة والجمال معاً ، بعد أن ألمحنا من قبل إلى أنّه بإرادة الله تعالى ، يحتلّ من ناحية الجمال رأس قائمة مخلوقات هذه الكرة الأرضية .

من الماء نسب وصهر

ونحن نودّ أن نتّخذ لهذه الزاوية من الدّراسة عنوانا جانبيا يتعلق من الآية الكريمة الرابعة والخمسين من سورة الفرقان بسبب . قال تعالى[1] : ﴿ **وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسبا وصهرا ، وكان ذلك قديرا** ﴾ وسبق لنا أثناء دراستنا لسورة الفرقان الكريمة أن قلنا عن هذه الآية الكريمة ، ممّا له علاقة بما نحن بصدده الآن ما يلى[2] : « والآية الكريمة تعرض للإنسان من زاوية الجوّ العام للآيات ، من زاوية كونه فى الأصل ماءً ، يخرج من بين الصلب والترائب . قال تعالى[3] : ﴿ **والله خلق كل دابة من ماء** ﴾ وقال تعالى[4] : ﴿ **فلينظر الإنسان مِمَّ خلق ، خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾ والآية كذلك تشير إلى النوعين الذكر والأنثى . ولكنها تنظر إليهما من الزّاوية التى تتمشى مع الجوّ العام للآيات والهدف منها ، وذلك من ناحيتين ، ناحية النسب ، وعصب هذه النظرة الذكور . ومن ناحية وشائج المصاهرة ، وعصب هذه النظرة الإناث . فإذا نظرت الآية الكريمة إلى الذّكر ، نظرت إليه باعتباره زوجا وعصبا لسلسلة من النسب طويلة . تعود إلى الوراء حتى آدم عليه السلام . وإذا نظرت إلى الأنثى نظرت إليها باعتبارها زوجة وعصب

---

(١) سورة الفرقان ٥٤

(٢) تأملات فى سورة الفرقان ص ١٣٥ ، ١٣٦

(٣) سورة النور ٤٥

(٤) سورة الطارق ٥ - ٧

وشائج المناكحة . وهى بهذا تعطى سلسلة النسب الطويلة أبعادها عرضا . ولا يخفى أنّ هذه النظرات للذكر والأنثى من حيث كونهما نسبا وصهرًا ، يعتبر تقريرا نظريا لما جاء فى صدر الآية الكريمة : وهو الذى خلق من الماء بشرا . وإن شئت قلت تطبيقا علمياً للواقع المحسوس .

وتأمل عجز الآية الكريمة : وكان ربّك قديرا . إنّها معمقة لأبعاد تلك السلسلة البشرية التى تأخذ من جهة النسب أبعادها طولا وعرضا ، ومن جهة الصهر أبعادها عرضا وطولا أ .هـ

خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السّلام ، وخلق منه زوجه حواء كى يكون الإنسان خليفة عن الله تعالى فى الأرض ، يعمرها وفق الطريقة التى أرشده إليها وأعانه عليها . وقد شاءت العناية الإلهية أن تتهيّأ الأسباب التى جعلت آدم وحواء يهبطان من الجنة إلى الأرض . وحينما نتبين أن حواء قد خلقها الله تعالى من ضِلْع زوجها آدم ، وأنّ ربّ العزّة قد بث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، ندرك قيمة العَلاقة بين الزوج وزوجه ، بين الذكر والأنثى ، بين الرّجل والمرأة . فعن طريق هذا النوع من العَلاقة بين الذكر والأنثى ، استمرّ النوع الإنسانى ويستمرّ بإذن الله تعالى حتى ينفخ بأمر الله تعالى إسرافيل فى الصور النفخة الأولى مؤذنا بإنتهاء الحياة الدّنيا ، فيصعق بإرادة الله تعالى من فى السماوات ومن فى الأرض إلاّ من شاء الله من الملائكة والولدان والحور العين ، ثم تكون النفخة الثانية ، إيذانا ببدء الحساب فالثواب أو العقاب .

ونحن حينما نتبين أنّ ربّ العزة إنما أراد لجنس الإنسان أن يكون خليفته فى الأرض ، وأنّ الإنسان كفرد محدود العمر طولاً ، ولكنه غير محدود العمر عرضا ، أعنى كجماعة إلى أن تقوم بإرادة الله تعالى الساعة ، وأنّ وسيلة تحقيق وجود هذا النوع الإنسانى طولاً وعرضاً ، إنما هو العَلاقة الجنسية بين الرّجل والمرأة ، ندرك توّا أن الهدف الحقيقى من العلاقة بين الرجل والمرأة هو تحقيق النوع الإنسان . وإليك هذه الاقتباسات من كتاب صيد الخاطر لابن الجوزى فى هذا الشأن يقول[1] : « اللذات كلها بين حسى وعقلى . فنهاية اللذات الحسية وأعلاها النكاح . وغاية

---

(١) صيد الخاطر ص ١٤٠

اللذات العقلية العلم . فمن حصلت له الغايتان فى الدّنيا فقد نال النهاية » ويقول[1] : « اللذة كالحيلة فى إيصال النّفع بها ، إذ لو كان المقصود التنعم بها لما جعلت الحيوانات البهيمية أوفى حظا من الآدمى منها » ويقول[2] : « تأمّلت فى فوائد النكاح ومعانيه وموضوعه فرأيت أنّ الأصل الأكبر فى وضعه وجود النسل لأنّ هذا الحيوان لا يزال يتحلل ثم يخلف المتحلل الغذاء . ثمّ يتحلل من الأجزاء الأصلية مالا يخلفه شىء[3] فإذا لم يكن بد من فنائه وكان المراد امتداد أزمان الدّنيا جعل النسل خلفا عن الأصل . ولما كانت صورة النكاح تأباها النفوس الشريفة من كشف العورة ، وملاقاة مالا يستحسن لنفسه ، جعلت الشهوة تحث ليحصل المقصود » ويقول[4] : « ولولا تركيب الشهوة لم يقع الوطء ، لأنّه التقاء عضوين غير مستحسنين ولا صورتهما حسنة ولا ريحهما طيب. . وإنما الشهوة تغطى عين الناظر ليحصل الولد أصلاً فهى عارض » .

ونودّ أنّ نبين أنّ الإسلام الحنيف الذى حثّ على الزواج ونهى عن التبتل ، هو الدّين الوسط بين تفريط اليهود وإفراط النصارى ، لقد كان اليهود يتزوجون القريبات كبنت الأخ والأخت بينما يشترط النصارى بعد النسب – كما مرّ بنا – وقد يجنحون إلى الرّهبانية ، أى انصراف الرّجال عن النساء والنساء عن الرّجال والانقطاع للعبادة . والإسلام لا يؤمن بالرّهبنة التى ابتدعها النصارى ، والتى ما كتبها الله تعالى عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله تعالى ، لأنها لا تحقق الغاية التى من أجلها خلق الله تعالى الإنسان . ثمّ إنّ الرهبنة لم يستطع الذين كتبت عليهم أن يرعوها حق رعايتها كما نصّ على ذلك القرآن الكريم . وهذه الحنيفية السمحة إنما تقرر وتبارك العلاقات الطيبة الطاهرة بين الجنسين وفق الأسس التى بينها القرآن الكريم ، كلمة الله تعالى الأخيرة إلى البشرية ، وسنة المصطفى ﷺ ، الذى لا ينطق عن الهوى وإنما هو وحى يوحى . إنّ القرآن الكريم ، وتعتبر سنة المصطفى ﷺ تبيينا له ، مصدره

---

(١) نفسه ٩٨

(٢) نفسه ٣١

(٣) يريد الضعف الذى يطرأ على الإنسان أخيراًوقد فصل هذه المعانى فى فصل رقم ٢٣٥ صفحة ٢٦٤ – ٢٦٦ ويقول ص ٣١ النفس تدخر لقوتها الدم والمنى

(٤) صيد الخاطر ص ٣٤٦

الوحى أى السماء أى ربّ العالمين الذى خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه والذى لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء . وقد قال تعالى[1] : ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ وقال[2] : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ .

وبما أنّ دين الإسلام الحنيف الواقعى العملى يريد لهذا الإنسان أن يحقق وجوده ، من حيث كونه نسبا ، ومن حيث كونه صهرا ، كى تتوثق العلائق بين أفراد الأمة ، بل بين أفراد المجتمع البشرى الذى يؤمن بوجود الله تعالى ، فإنّ أوّل ما يلاحظ فى هذا المضمار ، وفى سبيل ضمان توسيع دائرة الأخوة الإيمانية والعلاقة الإنسانية ، هو أنّ الإسلام ، فيما يتصل بالأطراف التى حققت بطبعها هذه الأخوة والعلاقة ، كالأبوة والبنوة والأخوة ، وفيما يتصل بالأطراف التى حققت بطبعها هذه الأخوة والعلاقة كذلك ، فينبغى المحافظة على ما حققت من أهداف سامية ، وبالتالى لا ينبغى مطلقا تعريضها لأى نوع من الهزات المؤثرة ، كالجمع بين الأختين زوجتين والجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها وهكذا ، إن الإسلام فيمايتصل بكل هذه الأطراف التى تضعف الأخوة أو تقضى على العلاقة قد أبعدها أساساً من ميدان الوسيلة والغاية . وفى الإمكان أن نتدبر الفئات التى حرم القرآن الكريم على المرء أن يتزوجها ، وفى تحريم الزواج بها تحريم ضمنى لأسبابه ومتعلقاته ، بل وأد كلى لهذه الأسباب والمتعلقات ، كى ندرك حكمة الإسلام العظيمة من ذلك التحريم ، وهدفه السامي النبيل . جاء فى سورة النساء[3] قوله تعالى : ﴿ **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النّساء إلاّ ما قد سلف إنّه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا . حرمت عليكم أمّهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمّهاتكم اللاّتى أرضعنكم وأخواتكم من الرّضاعة وأمّهات نسائكم وربائبكم اللاّتى فى حجوركم من نسائكم اللاّتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلاّ ما قد سلف إنّ الله كان غفورا رحيما . والمحصنات من النّساء إلاّ ما ملكت**

---

(١) سورة الملك ١٤

(٢) سورة ق ١٦

(٣) الآيات ٢٢ - ٢٨

أيمانكم[1] كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهنّ فآتوهن أجورهنّ فريضة ، ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ، إن الله كان عليما حكيما . ومن لم يستطيع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ، والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض.فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان . فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ، ذلك لمن خشى العنت منكم . وأن تصبروا خير لكم.والله غفور رحيم . يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم.والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيما . يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ .

أما وقد تحدّدت معالم الميدان الذى يصحّ أن ينظر فيه إلى الحقيقة والجمال معاً ، الغاية والوسيلة ، فإنّا نودّ أن نعرف ابتداءً حدود كل من الوسيلة والغاية ، كما بيّنها الإسلام الحنيف . إنّه ليس من النادر أن نسمع مثل هذا السؤال : هل الغاية من الزواج الاستمتاع أم الذرية ؟ ومع أن الجواب فى الإسلام واضح تمام الوضوح ، وهو أنّ الغاية البعيدة للزواج الإنجاب ، وثمّة غايات أخرى جانبية ، عبر – على سبيل المثال – عن أهمها قوله تعالى من سورة الروم[2] : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة ، إنّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ فإنّ ثمة ميدانا قائماً برأسه ، سابقا للزواج ، وله مجالاته المختلفة التى عُنِىَ بها الإسلام تمام العناية . وتعتبر هذه المجالات من قبيل الوسائل . وإنّ الغاية الرّئيسية من الزواج أو الغايات الرّئيسية منه ، يضع الإسلام مجموعة من الوسائل والتحصينات لحمايتها كى تتحقق السعادة للأسرة ونعيم الهدوء والاستقرار. وإذا أردنا أن

---

(١) المراد بملك اليمين من تسبى من أرض الحرب فإن تلك حلال للذى تقع فى سهمه وإن كان لها زوج أى فهن حلال لكم إذا انقضت عدتهن فى ذلك . وعدّتها استبراء رحمها . وكان أصحاب رسول الله ﷺ يستبرئون المسبية بحيضة . وكافة العلماء رأوا استبراءها واستبراء التى لا زوج لها واحدا فى أن الجميع بحيضة واحدة . انظر تفسير القرطبى ١٦٩١ ، ١٦٩٢

(٢) الآية ٢١

نتتبع المسائل وفق مظنّة ترتيبها ، فمعنى هذا أنّا سنبدأ بالوسائل ونتحول إلى الغاية الرّئيسية أو الغايات . وهذا يقتضينا الحديث فى الأمور التالية :

١ – الزوجان المثاليّان .

٢ – المظلوب من الرجل والمرأة قبل الزواج .

٣ – بما أن زينة المرأة الحقيقة فى الاحتشام والحياء ، فما هى الشروط الواجب توافرها فى الزينة المسموح بها للمرأة أن تظهرها لمحارمها ؟

٤ – ما هى الأمور المطلوب توافرها فى ملابس المرأة فى منزلها ؟

٥ – ما هى الأمور المطلوب توافرها فى ملابس المرأة خارج المنزل ؟

٦ – ما هى ثمرة اتّباع منهج التربية الإسلامية فى هذا المجال ؟

٧ – ماهى ثمرة اتباع هوى النفس الأمارة بالسوء والشيطان الرّجيم فى هذا المجال ؟

١ – الزوجان المثاليّان

بتدبرنا لآيات الذكر الحكيم نستطيع أن نتبين الصورة المثالية للزّوجين. لقد بينت آية سورةالنور أن الطيبين للطيبات والخبيثين للخبيثات فالطيور على أشكالها تقع ، وشبه الشيء منجذب إليه . قال تعالى[1] : ﴿ **الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات** ﴾ والمطلوب من كل مسلم ومسلمة لله ربّ العالمين أن يكونوا غاية فى الإيمان وعمل الصالحات ، كى تتحقق لهم الحياة الطيبة فى الأولى والآخرة . قال تعالى[2] : ﴿ **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيما** ﴾ وقال تعالى[3] : ﴿ **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهومؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ وإنّ

---

(١) سورة النور ٢٦

(٢) سورة الأحزاب ٣٥

(٣) سورة النحل ٩٧

الزوجة بمثابة السكن للزوج ، وإنّ الزوج – قياسًا – بمثابةالسكن للزوجة وإنّ بينهما مودة ورحمة ، إضافة إلى الولد . قال تعالى[1] : ﴿ **ومِنْ آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة ، إنّ فى ذلك لآية لقوم يتفكرون** ﴾ . وقال تعالى[2] :﴿ **هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين** ﴾ وقال تعالى[3] :﴿ **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون** ﴾ وقال تعالى[4] :﴿ **خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث . ذلكم الله ربّكم له الملك لا إله إلاّ هو فأنى تصرفون** ﴾ والزوجة بمثابة الحرث . قال تعالى[4] : ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين** ﴾ ومعروف أنّ الحرث بحاجة إلى كامل العناية والرعاية حتى يخرج الزرع ويثمر . وقد قال تعالى[6] : ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون . إنّا لمغرمون . بل نحن محرومون** ﴾ وكل من الزوج والزوجة لباس للآخر ، فإذا كان اللباس يقى الحَرّ والقُرّ وضروب الأذى المادّية ، فإنّ كلا من الزوج والزوجة يقى الآخر ضروب الأذى المعنوية . قال تعالى[7] : ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** ﴾.

---

(١) سورة الروم ٢١
(٢) سورة الأعراف ١٨٩
(٣) سورة النحل ٧٢
(٤) سورة الزمر ٦
(٥) سورة البقرة ٢٢٣
(٦) سورة الواقعة ٦٣ – ٦٧
(٧) سورة البقرة ١٨٧

٢ - المطلوب من الرّجل والمرأة قبل الزواج

المطلوب من كل من الرجل والمرأة أن يكون عفيفا طاهر الذيل حتى يغنى الله تعالى كلا منهما من واسع فضله . قال تعالى[١] : ﴿ **وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله . والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا ، ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدّنيا ، ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم** ﴾ وإن واجب المسلمين جميعا أن يقدّموا كل عون مادّى وأدبى لمن أراد أن يتزوج من صالحى الرّجال والنّساء . قال تعالى[٢] : ﴿ **وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله . والله واسع عليم** ﴾ والأيامى جمع أيّم . وهى من ليس لها زوج ، بكراً كانت أو ثيبا . ومن ليس له زوج . وعباد من جموع عبد[٣] وانظر إلى هذه الآداب الإسلامية التى تبيّنها هذه الآيات الكريمات من سورة النور فى سبيل صد أبواب الشرور ، ومن باب الامتناع عن الرّعى حول الحمى مخافة الوقوع فيه ، قال تعالى[٤] : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ، والله بما تعملون عليم . ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم ، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون . قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ، إنّ الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلاّ ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ .

وإنّ عناية السنة النبوية المطهرة بالشباب على جهة الخصوص لكبيرة . وليس ببعيد عن أذهاننا حث المصطفى ﷺ معشر الشباب بأن من استطاع الباءة فليتزوج فإنّه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنّه له

---

(١) سورة النور ٢٣

(٢) سورة النور ٣٢

(٣) تفسير الجلالين

(٤) سورة النور ٢٧ - ٣١

وجاء[1] وليس ببعيد عن أذهاننا كذلك أن من بين السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله ، يوم لا ظل إلاّ ظله ، الرجل العفيف . عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : سبعة يظلهم الله يوم القيامة فى ظله ، يوم لا ظل إلاّ ظله . إمام عادل . وشاب نشأ فى عبادة الله . ورجل ذكر الله فى خلاء ففاضت عيناه . ورجل قلبه معلق فى المساجد . ورجلان تحابا فى الله . ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال : إنّى أخاف الله . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه[2] .

٣ - شروط الزينة المسموح بها للمرأة

فإذا تحولنا إلى مملكة المرأة الصغيرة ، أعنى منزلها ، استطعنا أن نفهم للوهلة الأولى أنّ المرأة مطلوب منها أن تقر فى منزلها ، بمعنى أنّها لا تخرج من المنزل إلاّلضرورة وحاجة ملحة . وقد جاء فى سورة الأحزاب الكريمة ، خطابا لنساء النبى ﷺ ، وهن الأسوة الحسنة للمؤمنات قوله تعالى[3] : ﴿ **وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾ . فما هى الحال المطلوب من المرأة أن تكون عليها فى المنزل وخارجه ؟ ومعروف أنها فى المنزل وخارجه يمكن أن تصادف الأجانب إلى جانب المحارم .

إنّه فيما يتصل بموقف المرأة فى المنزل من الأجانب ، والأجانب من المرأة ، فقد بينت الآية الكريمة من سورة الأحزاب ذلك ، فى هيئة الخطاب للمؤمنين على عهد النبى ﷺ حينما يسألون زوجاته ﷺ متاعا ، إنّ عليهم أن يسألوا المتاع من وراء حجاب . قال تعالى[4] : ﴿ **وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب . ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن . وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا**

---

(١) الوجاء بالكسر والمدّ رض عروق البيضتين حتى تنفضخ فيكون شبيها بالخصاء . واستعير هنا لتبين أثر الصوم فى عفة المرء .

(٢) صحيح البخارى ٢٠٣/٨

(٣) سورة الأحزاب ٣٣

(٤) سورة الأحزاب ٥٣

أزواجه من بعده أبدا إنّ ذلكم كان عند الله عظيما﴾ وقد استثنت السورة الكريمة بعض الفئات التى يتم معها الالتقاء دون حجاب . قال تعالى[1] : ﴿لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولاإخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله . إن الله كان على كل شىء شهيدا﴾ . وقد أكملت سورة النور الكريمة هذه الأصناف وذلك فى قوله تعالى[2] : ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلاّ ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلاّ لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أوبنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء،ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن،وتوبوا إلى الله جميعا أيُّها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ .

وحينما نتحدّث عن ملابس المرأة خارج المنزل ، نتبين أن القرآن الكريم قد تناول ملابس المرأة بالتفصيل على غير عادة القرآن الكريم فى المسائل الجزئية ، مما هو دليل على أهمية هذه المسألة وخطورتها . فلا شك أن الغريزة الجنسية من أقوى الغرائز وأفتكها ، وأنّ المرأة عنصر إيجابى فى إثارتها . وها هو ذا القرآن الكريم يرسم الطريق الأمثل الذى ينبغى أن يسير فيه كل من الرجل والأنثى . فما الذى يلاحظ بشأن إبداء زينتها أمام هذه الفئات المستثناة فى آية النور على جهة الخصوص ، باعتبارها أشمل فى هذا الباب ؟

نودّ فى هذا الصدد أن نقتبس بعض آراء العلماء ، وسيقتصر دورنا على الاقتباس فى هذه المسائل الفقهية .

١ – الزينة على قسمين ، خِلقِيّة ومكتسبة . فالخلقية وجهها فإنه أصل الزينة وجمال الخلقة ومعنى الحيوانية لما فيه من المنافع وطرق العلوم . وأمّا الزينة المكتسبة فهى ما تحاوله المرأة فى تحسين خلقتها كالثياب والحلى والكحل والخضاب[3] .

---

(١) سورة الأحزاب ٥٥

(٢) سورة النور ٣١

(٣) تفسير القرطبى ص ٤٦٢١

٢ – من الزينة ظاهر وباطن . فما ظهر فمباح أبدا لكل الناس من المحارم والأجانب .. وأمّا ما بطن فلا يحل إبداؤه إلاّ لمن سماهم الله تعالى فى هذه الآية أو حل محلهم[١] .

٣ – لا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تبدى زينتها إلاّ لمن تحل له ، أو لمن هى محرمة عليه على التأبيد . فهو آمن أن يتحرك طبعه إليها لوقوع اليأس له منها[٢] .

٤ – أمر الله سبحانه وتعالى النساء بألاّ يبدين زينتهن للناظرين ، إلاّ ما استثناه من الناظرين فى باقى الآية حذاراً من الافتتان . ثم استثنى ما يظهر من الزينة . واختلف الناس فى قدر ذلك . فقال ابن مسعود : ظاهر الزينة هو الثياب . وزاد ابن جبير الوجه . وقال سعيد بن جبير أيضاً وعطاء والأزواعى : الوجه والكفان والثياب . وقال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة : ظاهر الزينة هو الكحل والسوار والخضاب إلى نصف الذراع والقرطة[٣] والفتخ ونحو هذا فمباح أن تبديه المرأة ، لكل من دخل عليها من الناس . وذكر الطبرى عن قتادة فى معنى نصف الذراع حديثا عن النبى ﷺ . وذكر آخر عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال : لا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر إذا عركت[٤] أن تظهر إلاّ وجهها ويديها إلى ههنا . وقبض على نصف الذراع . قال ابن عطية : ويظهر لى بحكم ألفاظ الآية أنّ المرأة مأمورة بألاّ تبدى وأن تجتهد فى الإخفاء لكلّ ما هو زينة . ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيما لابد منه ، أو إصلاح شأن ونحو ذلك . و « ما ظهر » على هذا الوجه ، ممّا تؤدى إليه الضرورة فى النساء فهو المعفوّ عنه .

قلت : هذا قول حسن . إلاّ أنه لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة ، وذلك فى الصلاة والحج ، فيصلح أن يكون الاستثناء راجعا إليهما .

---

(١) تفسير القرطبى ص ٤٦٢١

(٢) تفسير القرطبى ٤٦١٩

(٣) القرطة بكسر القاف وفتح الرّاء جمع القرط بضم القاف وهو ما يعلق فى شحمة الأذن من درّة ونحوها . والفتخ بفتحتين جمع الفتخة بفتح التاء وسكونها وهى حلقة كالخاتم لا فص فيها . فإذا كان فيها فص فهى الخاتم .

(٤) عركت . حاضت

يدل على ذلك مارواه أبو داود عن عائشة رضى الله عنها أن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال لها : يا أسماء . إنّ المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلاّ هذا . وأشار إلى وجهه وكفيه . فهذا أقوى فى جانب الاحتياط ، ولمراعاة فساد الناس فلا تبدى المرأة من زينتها إلاّ ما ظهر من وجهها وكفيها . والله الموفق لا ربّ سواه . وقد قال ابن خويز منداد من علمائنا : إنّ المرأة إذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك . وإن كانت عجوزاً أو مقبحة جاز أن تكشف وجهها وكفيها[1] .

٥ – اختلف فى السوار[2] فقالت عائشة : هى من الزينة الظاهرة ، لأنها فى اليدين . وقال مجاهد : هى من الزينة الباطنة ، لأنها خارج عن الكفّين، وإنما تكون فى الذراع. قال ابن العربى : وأما الخضاب فهو من الزينة الباطنة إذا كان فى القدمين[3] .

٦ – لما ذكر الله تعالى الأزواج وبدأ بهم ثنى بذوى المحارم وسوى بينهم فى إبداء الزينة ولكن تختلف مراتبهم بحسب ما فى نفوس البشر . فلا مرية أن كشف الأب والأخ على المرأة أحوط من كشف ولد زوجها . وتختلف مراتب مايبدى لهم ، فيبدى للأب مالا يجوز إبداؤه لولد الزوج[4] .

٧ – اختلفت آراء العلماء فى العصر الحالى ، كما هو الحال فى العصورة السالفة ، بشأن الوجه . هل هو من الزينة الظاهرة أم هو من الزينة الباطنة . وبناء على ذلك هل يشمله قوله تعالى : « **يدنين عليهنّ من جلابيبهن** » وقد ذهب إلى شمول هذا القول الوجه الشيخ أبو الأعلى المودودى[5] أم أن هذا القول لا يشمله كما ذهب إلى ذلك الشيخ محمدّ ناصر الدين الألبانى[6] ولكن من الأولى ستره[7] وبما أن

---

(١) تفسير القرطبى ص ٤٦٢٠

(٢) السوار بكسر السين حلية كالطوق تلبسه المرأة فى زندها أو معصمها .

(٣) تفسير القرطبى ص ٤٦٢٢

(٣) تفسير القرطبى ص ٢٦٢٤

(٥) فى كتابه الحجاب انظر فصل حكم الوجه ٢٩٤ فما بعدها وحتى ص ٣٠٦

(٦) حجاب المرأة المسلمة فى الكتاب والسنة ص ٤١

(٧) حجاب المرأة المسلمة ص ٤١

الجلباب يستعمل خارج المنزل فإنّا نودّ أن نتحول إلى زى المرأة المسلمة إذا اضطرات للخروج من منزلها لسبب ما .

لباس المرأة المسلمة خارج المنزل

إنّ هذه الآية الكريمة من سورة الأحزاب هى التى تشير إلى لباس المرأة خارج المنزل . قال تعالى[1] : « **يا أيُّها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن. ذلك أدنى أن يُعْرَفْن فلا يؤذين. وكان الله غفورا رحيما** » وسبق أنْ عرفنا أنّ الخمار عبارة عما تضعه المرأة على رأسها نازلا على جيبها (القطع من الثوب الذى يحيط بالعنق ويدخل منه الرّأس) مغطيا صدرها ورقبتها وما إلى ذلك . وإذا كان المطلوب من المرأة أن تلبس الخمار فى المنزل فمن باب أولى أن تلبسه خارج المنزل .

ونودّ بهذه المناسبة أن نقرر بعض الأمور المتعلقة بالجلباب الذى يلبس خارج المنزل .

١ – من العلماء من فهم من إدناء الجلباب خروج الوجه . ومنهم من فهم دخول الوجه[2] .

٢ – كون الوجه ليس بعورة هو مذهب أكثر العلماء منهم أبو حنيفة ومالك والشافعى ورواية عن أحمد[3] .

٣ – ستر الوجه والكفين له أصل فى السنة . وقد كان ذلك معهودا فى زمنه ﷺ[4] والنصوص متضافرة على أنّ نساء النبى ﷺ كن يحتجبن حتى فى وجوههن[5] عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات . فإذا حاذوا بنا أسدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها فإذا جاوزونا كشفناه »[6] .

---

(١) سورة الأحزاب ٥٩

(٢) انظر حجاب المرأة المسلمة ص ٤٠ و ٤١

(٣) انظر ص ٤٢ من حجاب المرأة المسلمة وص ٢٩٢ من الحجاب ففيه أن هذا هو رأى الحنفية .

(٤) انظر حجاب المرأة المسلمة ص ٤٧ والحجاب ص ٢٩٧ ، ٢٩٨

(٥) حجاب المرأة المسلمة ص ٤٨ انظر ص ٤٨ – ٥١

(٦) حجاب المرأة المسلمة ص ٥٠ والحجاب ص ٢٩٨

وهذه هى شروط الملابس خارج المنزل أو الحجاب كما بينها الشيخ محمد ناصر الدّين الألبانى[1] .

١ – استيعاب جميع البدن إلا ما استثنى .
٢ – أن لا يكون زينة فى نفسه .
٣ – أن يكون صفيقا لا يشف .
٤ – أن يكون فضفاضا غير ضيق
٥ – ألاّ يكون مبخرًا مطيبا .
٦ – ألاّ يشبه لباس الرجل .
٧ – ألاّ يشبه لباس الكافرات .
٨ – ألاّ يكون لباس شهرة .

وكما قلنا : يرى الشيخ الألبانى أن الوجه والكفين مما استثنى ويردف ذلك بالقول[2] : « على أنّه لم يفتنا أن نلفت نظر النساء المؤمنات إلى أنّ كشف الوجه وإن كان جائزا فستره أفضل .. وبذلك أدّينا الأمانة العلمية حق الأداء . فبينا ما يجب على المرأة وما يحسن بها . فمن التزم الواجب فبها ونعمت . ومن أخذ بالأحسن فهو أفضل . وهذا هو الذى التزمته عمليا مع زوجى . وأرجو الله تعالى أن يوفقنى لمثله مع بناتى حين يبلغن أو قبيل ذلك » . وإذا كان الوجه لا يجب ستره كما يصح أن يفهم من آية سورة النور[3] وآية سورة الأحزاب[4] فإن الشيخ الألبانى يستدرك قائلا[5] : « لكن ينبغى تقييد هذا بما إذا لم يكن على الوجه وكذا الكفين شىء من الزينة لعموم قوله تعالى : ولايبدين زينتهن . وإلاّ وجب ستر ذلك . لا سيما فى هذا العصر الذى تفنّن فيه النساء بتزيين وجوههن وأيديهن بأنواع من الزينة

---

(١) حجاب المرأة المسلمة ص ١٣ و ص ١١١ وتم الحديث بالتفصيل عن هذه الشروط الثمانية ابتداءً من هذه الصفحات التالية على التوالى . الشرط الأوّل ص ٥٣ والشرط الثانى ص ٥٤ والشرط الثالث ص ٥٦ والشرط الرابع ص ٥٩ والشرط الخامس ص ٦٤ والشرط السادس ص ٦٦ والشرط السابع ص ٧٨ والشرط الثامن ص ١١٠
(٢) حجاب المرأة المسلمة ص ٥
(٣) حجاب المرأة المسلمة ص ٤١
(٤) حجاب المرأة المسلمة ص ٤١
(٥) حجاب المرأة المسلمة ص ٤٢

والأصبغة مما لا يشك مسلم بل عاقل ذو غيرة فى تحريمه » ويقول الشيخ أبو الأعلى المودودى[1] : « إنّ أقصى ما أوتيت المرأة من الحرية فى الاجتماع الإسلامى هو أن تبدى وجهها ويديها إذا دعت الضرورة » .

وفيما يتصل بالشرط الخامس المتعلق بألاّ يكون حجاب المرأة المسلمة مبخرًا ولا مطيبا ، يستحسن الاستئناس بالحديث النبوى الشريف : طيب الرّجال ما ظهر ريحه وخفى لونه . وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه[2] .

وفيما يتصل بالشرط السّابع ألاّ يشبه لباس الكافرات . فلأنّ المفروض فى المسلمين أن تكون لهم شخصيتهم المستقلة ، وأن يخالفوا بالذات اليهود والنصارى . فبهذا أمر المصطفى ﷺ . ففى الحديث[3] أن النبى ﷺ قال : خالفوا اليهود فإنّهم لا يصلون فى نعالهم ولا فى خفافهم . وقال فى القبور[4] اللحد لنا والشق لأهل الكتاب . وذهب ابن تيمية إلى أنّ المشابهة الظاهرة مظنة المودّة فتكون محرّمة[5] .

وفيما يتصل بالشرط الثامن بألاّ يكون لباس شهرة ، فالمراد به كل ثوب يقصد به الاشتهار بين الناس سواء كان الثوب نفيسا يلبسه تفاخراً بالدّنيا وزينتها ، أوخسيسا يلبسه إظهاراً للزهد والرياء[6] قال رسول الله ﷺ : مَنْ لبس ثوب شهرة فى الدّنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه نارا[7] .

وبهذا يتبين أنّ بقاء المرأة فى منزلها هو الأفضل . ولا تخرج إلاّ لضرورة . بل إن صلاة المرأة فى أقصى خلوة بيتها ليست أفضل من صلاة الجماعة فحسب . بل إنّها تفضل ما ليس وراءه مطمع لمسلم ، وهو صلاة الجماعة فى المسجد النبوى خلف

---

(١) الحجاب ص ٤٤

(٢) الترمذى باب ما جاء فى طيب الرّجال والنساء وأبو داود باب ما يكره من ذكر الرجل ما يكون من إصابته أهله نقلا عن الحجاب ص ٢٥٧

(٣) حجاب المرأة المسلمة ٨٦

(٤) حجاب المرأة المسلمة ٨٨

(٥)انظر حجاب المرأة المسلمة ١٠٦

(٦) حجاب المرأة المسلمة ص ١١٠ هامش رقم (١)

(٧) حجاب المرأة المسلمة ص ١١٠

النبى ﷺ نفسه[1] أخرج الإمام أحمد والطبرانى عن أم حميد الساعدية قالت : يا رسول الله : إنّى أحبّ الصلاة معك . قال : قد علمت صلاتك فى بيتك خير لك من صلاتك فى حجرتك . وصلاتك فى حجرتك خير من صلاتك فى دارك . وصلاتك فى دارك خير من صلاتك فى مسجد قومك . وصلاتك فى مسجد قومك خير من صلاتك فى مسجد الجماعة[2] وحديث آخر فى مثل هذا الموضوع قد أخرجه أبو داود عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى حجرتها . وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها[3] إنّ حكمة الشارع من ذلك واضحة ، وهى عدم الاختلاط بين الجنسين . يحدث هذا فى الوقت الذى يجىء فى الحديث المتفق عليه قال رسول الله ﷺ : لا تمنعوا إماء الله مساجد الله . وإذا استأذنت المرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها[4] وقال : لا تمنعوا نساءكم المساجد . وبيوتهن خير لهن.رواه أبو داود[5] ويفضل الشارع للنساء فى المسجد صلاة العشاء والفجر أى صلاة الليل[6] .

فإذا كشفت امرأة عفيفة عن وجهها مضطرة غضّ الرجال أبصارهم[7] .

إنّ تبرّج الجاهلية منهى عنه . وقد عرفنا أنّه عبارة عن كل زينة وتجمل تقصد به المرأة أن تحلو فى عين الأجانب[8] بأن تبدى من زينتها ومحاسنها ما يجب عليها ستره مما تستدعى به شهوة الرجل[9] إن المصطفى ﷺ حينما بايع النساء بايعهن على ألاّ يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى . فقرن ﷺ بين التبرج وبين الشرك والزنى والسرقة وغير ذلك من المحرمات[10] ونستطيع أن نتبين الثمرة اليانعة الناضجة لاتباع منهج

---

(١) الحجاب ٣١٢
(٢) الحجاب ٣١٠
(٣) الحجاب ٣١١
(٤) الحجاب ٣١٢
(٥) الحجاب ٣١٢
(٦) الحجاب ٣١٤
(٧) الحجاب ٣٠٥
(٨) الحجاب ٢٥٤
(٩) حجاب المرأة المسلمة ص ٥٤
(١٠) حجاب المرأة المسلمة ص ٥٥

التربية القرآنية فى مثل قوله تعالى[1] : ﴿ **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ والآن ما هى الثمرة النكدة لتنكب صراط الله تعالى المستقيم ؟

من الواضح أنّ المسلمين بعد أن غيروا ما بأنفسهم بأن ابتعدوا عن تعاليم القرآن الكريم وتعاليم أشرف الأنبياء والمرسلين . ولم يرعوا نعم الله تعالى عليهم بأن بدّلوا نعمة الله تعالى كفرا ، غير الله تعالى عليهم . فبعد أن كان المسلمون بعد فجر الإسلام لعدة قرون سادة الدّنيا بحق ، مصداقا لوعد الله تعالى لهم فى قوله عزّ من قائل[2] : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾ إذا هم فى ذيل قائمة الأمم . ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾[3] ﴿ إنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مردّ له ومالهم من دونه من وال ﴾[4] ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾[5] وإنما تدحرج المسلمون عن عليائهم لأنهم أفسدوا الدّين والدّنيا معاً . ومن الطبيعى بعد ذلك أن يرثهم ويتقدم عليهم سواهم من الذين أصلحوا دنياهم . إنّا حينما نضع فى كفة المسلمين ، فساد دين ودنيا ، ونضع فى كفة غير المسلمين فساد دين وصلاح دنيا ، فالنتيجة بطبيعة الحال معروفة . إنّها فى صالح أصحاب الدّنيا . وهذا هو السبب فى تقدم الغرب والشرق معاً وتأخّر المسلمين . الذين لن يعود إليهم مجدهم إلاّ بصلاح دينهم الذى يعنى حتما صلاح دنياهم ، والذى سيعطيهم بإذنه تعالى الطاقة الهائلة التى تحركهم وتدفعهم إلى الانطلاق حتى يساووا فى التقدم من سبقهم ، ويزيدوا عليهم بإذن الله تعالى فى مجال التقدّم والرّقى سرعة يضيّقون بها الفجوة بينهم وبين من تقدّمهم ، فيلحقون به ، ويتساوون معه ، ويسبقونه بإذن الله تعالى الذى لا إله إلا هو ، لأن كل الأسباب

---

(١) سورة النحل ٩٧
(٢) سورة النور ٥٥
(٣) سورة الكهف ٤٩
(٤) سورة الرعد ١١
(٥) سورة آل عمران ١٤٠

التى تؤدى إلى هذه النتيجة متوفرة بحمد الله تعالى لدى المسلمين وحدهم ، وأهم هذه الأسباب قوة الإيمان وسلامة العقيدة ونقاء الدّين . وعماد كل ذلك حفظ الله تعالى لكتابه العزيز وقد قال تعالى[1] ﴿ إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾ وتسخير الله تعالى جيشا من العلماء يسهرون لرعاية سنة حبيبه المصطفى ﷺ ويبذلون كل غال ورخيص للذب عنها والذود عن حياضها لأنها فى المقام الأول مبينة للقرآن الكريم ، وقد قال عز من قائل[2] : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ .

أما وقد غيّر المسلمون ما بأنفسهم فغير الله تعالى عليهم فأبدلهم بالعزّ ذلاً وبالهيبة استخفافا وبالعلم جهلاً ، فأصبحت مقاليد الأمور بيد سواهم ويصحّ على المسلمين قول جرير :

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأذنون وهم شهود

فما الذى يلاحظ على ورثة حضارة المسلمين الذين فصلوا الدّين عن الدّنيا ، والذين انطلقت حضارتهم المادّية كالحيوان الهائج المسعور فلا نور سماويا يهدى ولا رعاية إلهية ترعى ؟ الذى يلاحظ هو أنّ هذه الحضارة المادّيّة لا يمسك عليها من الانهيار إلاّ القوة المادّيّة أو الاقتصاد إن صح هذا التعبير . ومن ثم فهم يعتبرون المادّة كل شىء . ولو فرض أن المادّة التى تمسك بهذه الحضارة قد زالت ، لغدت الحضارة المسيحية على حقيقتها غير ذات روح ، فهى بمثابة المنافقين كما صورتهم سورة « المنافقون » كالخشب المسندة ، على الرّغم من الشكل الظاهرى الجميل ، والمنظر الخارجى الخلاب[3] وما قيمة خشب قد تآكل لبُّه ولم تبق سوى قشرته الخارجية هذه القشرة الخارجية التى ينخدع بها الأغرار البسطاء .

ونحن إذا تجاوزنا هذه القشرة الخداعة بالنسبة للحضارة الغربية ، الأوروبية والأمريكية مع إكبارنا لانجازاتها المادية إلى فقرها المدقع فى مجال الروح والأخلاق بمعناها السماوى استطعنا أن نتبين جيدا الأمراض الثلاثة التى تفتك بالحضارة المسيحية

---

(١) سورة الحجر ٩

(٢) سورة النحل ٤٤

(٣) انظر سورة المنافقون الآية الكريمة الرابعة على جهة الخصوص .

عموما وهى :

١ – أدب خليع

٢ – أفلام خليعة

٣ – أخلاق نساء منحطة[١]

وإذا تساءلنا عن السبب وراء عوامل الهدم الثلاثة هذه ، تبينا أنها أم الكبائر . الخمرة . وأنا لا أودّ أن أتحدث عن آثار الخمرة المدمّرة التى شاهدتها بعينى رأسى فى تلك المجتمعات ، وهو دمار مبك مضحك فى آن واحد ، ولكنى أودّ أن أتحدّث عن هذه الآفة من زاوية ما نحن بصدده من انحلال للنساء أخلاق .

فى نهاية عام ألف وأربعمائة للهجرة كنت مع أسرتى فى رحلة علمية ، ومررنا بمدينة لندن وزرنا يوم الأحد ميدان الطرف الأغرّ المكان المشهور بحمامه الكثير الأليف . وبعيد الظهر فوجئنا بفريق تابع لإحدى الجمعيات الاجتماعية الخيرية التى قررت الإفادة من ذلك الحشد من البريطانيين وسواهم ، بإلقاء كلمات متتابعة موجزة مركزة وتوزيع نشرات متتالية موضحة للكلمات مترجمة بالرسوم والأرقام الأخطار الرّهيبة التى تهدد المجتمع البريطانى بسبب الخمرة . وقد تبيّن أنّ إحدى النشرات بينت بالرسوم نسبة الكحول المتدرجة فى المشروبات الروحية ابتداءً من البيرة التى تكون نسبة الكحول فيها عادة ٥٪ إلى المشروبات الروحية الأخرى التى تأخذ نسبة الكحول بها فى الارتفاع . وقد استأنس أفراد الجمعية بآراء المتخصصين فى هذا المجال وقرروا أن تأثير الخمر فى الشارب لهذه الأنواع المتدرجة نسبة الكحول فيها تبدأ بالصداع بشأن أقلها نسبة كحول ، وتنتهى بالوفاة الأكيدة بشأن أعلاها نسبة كحول . هذا فى حالة شرب الواحد زجاجة من تلك الأنواع التى تبدأ من أقلها نسبة كحول وهى البيرة . وعن نسبة المدمنين وأعدادهم الرّهيبة والآخذة فى الارتفاع بين الكبار والصغار ، الذكور والإناث ، حدّث ولا حرج . ومما له علاقة بالمسألة محور حديثنا ، وهو أحد العوامل التى تؤدّى إلى دمار الحضارة المسيحية أعنى أخلاق نساء منحطة ، أكتفى بالإشارة إلى ما نصّ عليه أحد المتكلمين من أن شرب الفتيات والنساء للخمر ، ورطهن فى أوضاع خلقية حرجة ، أدركنها على حقيقتها

---

(١) انظر هنا الحجاب ص ١٠٤

المخزية ، بعد أن أفقن من غيبوبة السّكر .

وإذا كان هذا المثل مأخوذاً من بيئة غربية ، فلنتحول إلى مثل آخر شرقى . حينما كنت أدرّس بجامعة سدنى باستراليا أستاذاً زائراً للعام الدراسى ٩٥/٩٦ هـ كنت أنا وأسرتى نسكن فى عمارة متعددة الطوابق . وكانت زوجتى تخبرنى باستمرار بأن العجوز الأيّم فلانة المدمنة على الخمرة والتى تسكن فى أحد الأدوار العليا من العمارة قد تم اليوم العثور عليها فى مدخل العمارة أو فى إحدى ردهات أحد الأدوار عارية أو شبه عارية وقد تعاونّا نحن النسوة على حملها وإيصالها إلى شقتها . والملاحظ أنّ هذه الأيّم الثرية تعيش كعادة أفراد تلك المجتمعات وحيدة ، بمنأى عن أفراد أسرتها ومنهم أخوها القسيس . لقد أعيت هذه العجوز كل محاولات الترغيب والترهيب ، نعم الترغيب والترهيب ، من قبل الأسرة والمستشفيات والبوليس لحملها على ترك شرب الخمر أو الإقلال من شربها . وقد انتهت حياتها أخيراً فى عربة إسعاف أحد المستشفيات الذى بادر إلى محاولة إنقاذها . ولكن كل المحاولات قد فشلت . وفى ذلك الإسعاف لفظت ضحية الخمرة هذه ، أنفاسها الأخيرة .

وقس على هذه الضحية ملايين ضحايا المدمنين للخمرة فى البلاد التى يفتك بها هذا الدّاء والتى فشلت فى حمل الأفراد على الامتثال لتحريم الخمرة بالقانون ، على غرار ما حدث فى أمريكا فى مطلع القرن العشرين الميلادى وطوال ثلاث عشرة سنة فى الفترة بين ١٩٢٠ – ١٩٣٣ م أو بالتوعية ، على غرار ما يحدث حاليّاً فى كل المجتمعات التى تأصّل فيها هذا الدّاء الوبيل . ومع ذلك فإنّ تلك البلاد تعمل جاهدة على غزو العالم الإسلام بهذا الدّاء الوبيل والمرض الفتاك الخمرة . **فاعتبروا يا أولى الأبصار**[1] .

وما هى الثمرة الوبيلة النكدة لهذه الأمراض على مستوى الفرد والجماعة والأمة ؟ نودّ أن نشير إلى بعض تلك الثمار النكدة فى هيئة ومضات وإشارات . إنّ نسبة الذين يتزوجون فى فرنسا بين كل ألف من الرجال والنساء بين سبعة أشخاص وثمانية أشخاص فى الألف[2] وليس الزواج فى الغالب بقصد الراحة والسكينة بعد حياة

---

(١) سورة الحشر ٢

(٢) الحجاب ص ٩٢

العهر والفجور ، إنما من أجل الجمع بين سكينة المنزل مع من تسمى زوجا وبين فجور خارج المنزل . فهذه زوجة تعلن إنما تزوجت بقصد أن يكتسب أولادها السابقون الشرعية من زواجها فلهذا السبب قد أمضت عقد الزواج . وبتحقق الشرط المتفق عليه والنافذ المفعول بتوقيع عقد الزوج ، هى لم تلتق بزوجها مطلقا ، لأنّها لم تكن تنوى قط أن تعاشره معاشرة زوجية[١] قال عميد كلية شهيرة فى باريس : إنّ عامة الشباب يريدون بعقد النكاح استخدام بغى فى بيتهم أيضاً . ذلك أنهم يظلون مدة عشر سنين أو أكثر يهيمون فى أودية الفجور أحراراً طلقاء ثم يأتى عليهم حين من دهرهم يملون تلك الحياة الشريدة المتقلقة . فيتزوجون بامرأة بعينها حتى يجمعوا بين هدوء البيت وسكينته ولذة المخادنة الحرة خارج البيت[٢] .

والمعروف أنّ زهاء خمس وتسعين فى المائة من حالات الاتصال الجنسى فى أمريكا لا تؤدى نتيجتها الطبيعية من الإنجاب بسبب استعمال وسائط منع الحمل[٣] أمّا بالنسبة للذين تحتفظ بهم الأرحام من الأطفال ، فإنّ القلة القليلة هى التى تسلم من الإجهاض[٤] ومن التخلص منها بعد الولادة مباشرة[٥] ومن الموت بسبب المرض . إنّ ما بين ثلاثين ألف طفل وأربعين ألف طفل يموتون فى أمريكا سنويا بسبب مرض الزّهرى الموروث[٦] ولعلك تذهل إذا عرفت أنّ زهاء تسعين فى المائة من سكان أمريكا مبتلون بالأمراض السرية الفتاكة[٧] وفى فرنسا يموت سنويا ثلاثون ألف نسمة بالزّهرى وما يتبعه من الأمراض الكثيرة[٨] ويقول الطب : إنّ من أصيب بالسيلان مرة ، أصيب به للأبد ، لأنّ هذه القرحة فى الإحليل قلّما تندمل . ولا يخلص من أذاها الإنسان إلاّ فى النادر[٩] وإن الزهرى ينتقل من المريض إلى أولاده وأولاد

---

(١) الحجاب ٩٣
(٢) الحجاب ٩٣
(٣) الحجاب ١١٣
(٤) انظر الحجاب ص ٧٣ و ٩٥ و ١١٣
(٥) الحجاب ١١٣
(٦) الحجاب ١٠٨
(٧) الحجاب ١٠٧
(٨) الحجاب ٩١
(٩) الحجاب ١٦١

أولاده[1] .

وإليك هذه الأدلة على وأد الحضارة المادّية للأمومة ، إلا من رحم ربك وقليل ما هم ، وهى مأخوذة من ألسنة القوم . مات لامرأة (فرنسية) ابن ستة أشهر فوضعت نعشه بين يديها ورقصت بالفرح وغنت . ثم طافت بجاراتها تقول : أنا لن ألد آخر بعد وياراحة نفسى ونفس بعلى من موت هذا العليق[2] ترين أى مخلوق حقير هو هذا الذى لا ينقطع عن البكاء ويظل يبث القذر فى الفناء . أفلا يكاد المرء يتخلص منه أبدا[3] .

وأدهى من ذلك وأمرّ أن قتل الأولاد هذا سائر إلى الزّيادة والانتشار بسرعة عظيمة . والحكومة الفرنسية ومحاكمها متهاونة مستخفة بهذه الجريمة العظيمة كصنيعها فى إسقاط الحمل . فقد رفع إلى محكمة لوران فتاتان قتلتا أولادهما . ولكنهما أعفيتا من العقوبة . أمّا إحداهما فقد أهلكت ولدها بالإغراق . وأمّا ثانيتهما فقد خنقت طفلها، ولما رأت فيه بعد حشاشة نفس تضطرب رمت به عرض الحائط فشجت رأسه[4] وفى سنة ١٩١٨ م نفسها جيء إلى محكمة سين براقصة حاولت نزع لسان ولدها من حلقه ثم حطمت رأسه . وأخيرا قطعت منه الوتين . ولم تكن هذه المرأة أيضاً مجرمة عند القضاء أو المحامين[5] .

وإزاء هذا التحلل الخلقى وضعف الأمومة إضافة إلى انتشار اللواط واعتراف تلك الدول رسميا[6] بشروطه الثلاثة[7] وهى بلوغ السن القانونية والرضا بين الطرفين ، وكونه يتم فى مكان غير مكشوف . أمّا إذا كان المفعول به دون سن البلوغ فإنّ الرّضا يكون بيد وليّه فى هذا الشأن[8] .

---

(١) الحجاب ١٦٢

(٢) العليق بضم العين وتشديد اللام نبت يتعلق بالشجر وثمره كثمر التوت

(٣) الحجاب ٩٦

(٤) الحجاب ٩٧

(٥) الحجاب ٩٧

(٦) الحجاب ٧٢

(٧) هذه الشروط فى بريطانيا

(٨) الحجاب ص ٧٢ والحديث هنا عن اللواط فى ألمانيا قبل العصر النازى

وإزاء رخص المرأة لدرجة أنه لم يعد الآن من الغريب الشاذ وجود العلاقات الجنسية بين الأقارب فى النسب كالأب والبنت والأخ والأخت فى بعض الأقاليم الفرنسية وفى النواحى المزدحمة فى المدن[1] وإزاء المرض الجنسى الرّهيب الزاحف فيما يقال أساساً من الدّول الأسكندنافية والذى انتشر فى كل تلك المجتمعات والذى عرفت - يقينا - وصوله حتى قارة استراليا وهو ما يسمى بتبادل الزوجات مما لم يشر إليه الأستاذ المودودى فى كتابه وقد استفحل هذا الداء أخيرا ، إزاء كل هذه الآفات من الطبيعى أن يأخذ عدد سكان فرنسا يقلّون ، خاصة بسبب ارتفاع نسبة المهاجرين إليها ، بحيث إنّ من الخبراء من انتهى إلى أن الأمور إذا سارت وفق ما هى سائرة عليه من الجائز أن يتحول سكان فرنسا فى نهاية هذا القرن الميلادى إلى أقلية[2] بسبب هبوط نسبة المواليد المستمر من مطلع هذا القرن[3] ومن الطبيعى أن تأخذ فرنسا من مطلع هذا القرن فى التخفيض المستمر لشروط الانخراط فى سلك الجندية ، لأن عدد الشبان الوافين بالمستوى السابق من القوة والصحة لايزال يقل ويندر فى الأمة على مسير الأيام[4] .

ونختم حديثنا بهذا الجزئية الكريمة من سورة الحشر فى مخاطبتها للمسلمين بقيادة خير خلق الله تعالى كلهم محمد بن عبد الله ﷺ بأن عليهم أن يأخذوا حذرهم وإلاّ كان مصيرهم مصير السابقين الكافرين بنعم الله تعالى . قال عز من قائل[5] : ﴿ **فاعتبروا يا أولى الأبصار** ﴾ . وقال تعالى[6] : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون** ﴾ وقال تعالى[7] : ﴿ **ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون . ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا فى قلوب**

---

(١) الحجاب ٧٩

(٢) الحجاب ٩٨

(٣) انظر الحجاب ٩٧

(٤) الحجاب ٩٠

(٥) سورة الحشر ٢

(٦) سورة الحديد ١٦

(٧) سورة الحديد ٢٦ - ٢٩

الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون . يا أيُّها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم . لئلا يعلم أهل الكتاب ألاّ يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ .

ونحن إذا تساءلنا عن الفلسفة التى تقوم عليها هذه الحضارات التى تنكبت الطريق المستقيم الذى أرشدت إليه السماء من زاويتى الحقيقة والجمال لوجدنا الجواب فى كون هذه الحضارات إنّما تقدم الجمال على كلّ شيء ، أى تقدم المتعة الفردية والجماعية والحرية الشخصية وقد انتهى الأمر بتلك الحضارة المادية المعاصرة إلى الحضيض فى مجال العفاف والطهر والفضيلة . فلنتحول فى المقابل إلى

الثمرة اليانعة لسلوك صراط الله تعالى المستقيم

إنّ أهمّ الثمرات اليانعة لسلوك صراط الله تعالى العزيز الحميد ، الحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة ، التى تكفل بها ربّ العزة فى محكم كتابه لمن آمن وعمل صالحا من عباده المؤمنين والمؤمنات . قال تعالى[1] : ﴿ **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ ومن أهمّ مقومات الحياة الطيبة المرأة الصالحة . عن النبى ﷺ أنه قال : خير متاع الدّنيا المرأة الصالحة[2] وقال ﷺ : حبب إلىّ من الدنيا[3] النّساء والطيب . وجعلت قرة عينى فى الصلاة[4] وقال ﷺ : ليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة[5] وانظر إلى نعوت الزوجة المسلمة لله ربّ العالمين كما بيّنها القرآن الكريم . قال تعالى[6] : ﴿ **فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله** ﴾ وقد بين

---

(١) سورة النحل ٩٧

(٢) النسائى كتاب النكاح نقلا عن الحجاب ٢٤٣

(٣) وفى رواية دنياكم . أى دنيا المخاطبين وليست دنياه ﷺ

(٤) النسائى كتاب عشرة النساء نقلا عن الحجاب ٢٤٣

(٥) ابن ماجة كتاب النكاح نقلا عن الحجاب ٢٤٣

(٦) سورة النساء ٣٤

الحديث النبوى الشريف معنى حفظ الزوجة للغيب وذلك فى نعته ﷺ للزوجة المثالية . قال رسول الله ﷺ:خير النّساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك. وإذا أمرتها أطاعتك . وإذا غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك . ثمّ قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم . فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله . واللآتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن،فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا . إن الله كان عليا كبيراً** ﴾[1] كما بينت ذلك خطبته ﷺ فى حجة الوداع ، إضافة إلى حقوق كل من الزوجين على الآخر . يقول ﷺ[2] : « أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقا . ولهن عليكم حقا . لكم عليهن ألاّ يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه . وعليهن ألاّ يأتين بفاحشة مبينة . فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرّح . فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف . واستوصوا بالنّساء خيراً فإنهنّ عندكم عوان . لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً . وإنّكم إنّما أخذتموهنّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنّ بكلمات الله . فاعقلوا أيها الناس قولى . فإنّى قد بلغت . وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمراً بينا ، كتاب الله وسنة نبيه » .

وإنّ المصطفى ﷺ هو الأسوة الحسنة فى معاملة الأزواج الكريمة لزوجاتهم فها هو ذا المصطفى يقول : خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى[3] ويقول ﷺ لزوجه عائشة رضى الله تعالى عنها : كنت لك كأبى زرع لأم زرع[4] وفى رواية : إنّ مثلى ومثلك كأبى زرع لأم زرع[5] وأمّ زرع واحدة من إحدى عشرة امرأة تعاهدن أن تصدق كل واحدة منهن الحديث عن زوجها . وكان أبو زرع زوج الحادية عشرة أم زرع زوجا مثاليا فى معاملته لها حينما كانت فى عصمته . ولهذا استدرك المصطفى ﷺ فى مخاطبته عائشة : إلاّ أنّه طلّقها وإنى لا أطلّقك . وزاد النّسائى فى رواية .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٩١/١ وتفسير القرطبى ص ١٧٤٠

(٢) السيرة النبوية ٢٧٦/٤

(٣) الترمذى وابن ماجه والدارمى .

(٤) من حديث أم زرع الذى رواه الشيخان والنسائى انظر شرح الحديث فى فقه السنة مثلا ١٩٠/٢

(٥) فقه السنة ١٩٤/٢

قالت عائشة: يا رسول الله بل أنت خير من أبى زرع[1] .

وإذا نحن تجاوزنا الجانب الرّوحى فى العلاقة بين الزوجين إلى الجانب الاجتماعى استطعنا أن نتبين ضرورة تزيّن كل من الزوجين للآخر . قال ابن عباس رضى الله عنهما : إنّى لأتزين لامرأتى كما تتزين لى[2] وهذه الزينة تشمل كلاّ من الخلقة والخرقة . يقول القرطبى[3] : « فإنّما يعمل اللاّئق والوفاق ليكون عند امرأته فى زينة تسرها ويعفها عن غيره من الرجال » ويقول[4] : « ثم عليه أن يتوخى أوقات حاجتها إلى الرجال فيعفها ويغنيها عن التطلع إلى غيره . وإن رأى الرّجل من نفسه عجزا عن إقامة حقها فى مضجعها أخذ من الأدوية التى تزيد فى باهه وتقوى شهوته حتى يعفها » .

ولننظر إلى وصية أمّ هى أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس بنت عوف بن محكم الشيبانى وقد حان زفافها إلى عمرو بن حجر ملك كندة : « واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرًا .

أمّا الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة .

وأمّا الثالثة والرّابعة : فالتفقد لموضع عينه وأنفه . فلا تقع عينه منك على قبيح . ولا يشم منك إلاّ أطيب ريح .

وأمّا الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه . فإنّ تواتر الجوع ملهبة . وتنغيص النّوم مغضبة .

وأمّا السابعة والثامنة فالاحتراس بماله والإرعاء[5] على حشمه وعياله . وملاك الأمر فى المال حسن التقدير . وفى العيال حسن التدبير .

وأمّا التاسعة والعاشرة فلا تعصين له أمراً . ولا تفشين له سرا . فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره . وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره .

---

(١) فقه السنة ١٩٤/٢ هامش رقم ٢١

(٢) تفسير القرطبى ص ٩٣١ وفقه السنة ١٨٩/٢ وصيد الخاطر ص ٦٨

(٣) تفسير القرطبى ص ٩٣٢

(٤) تفسير القرطبى ص ٩٣٢

(٥) الإرعاء : الرعاية . والحشم الخدم . وملاك الأمر عماده .

ثمّ إياك والفرح بين يديه إن كان مهما . والكآبة بين يديه إن كان فرحا[1]

وواضح أنّ هذه النصائح التى تعود إلى ما قبل الإسلام نافعة فى الأمر الذى نحن بصدده ، وهى مما يؤيده الإسلام بل يأمر به .

وبعد فإنّ واجب المسلمين أن يعتبروا بما آل إليه حال الغرب والشرق على السواء ، بسبب الابتعاد عن منهج الله تعالى ، وأن يتعاونوا بكل الوسائل على حماية العالم الإسلامى عموما من خطر الغزو الأجنبى . وقد تبين لنا بوضوح أنّ الحضارة التى تبتعد عن المنهج السماوى تقدّم الجمال على كل شىء . أمّا الحضارة التى تتخذ المنهج السماوى لها طريقا تسلكه فإنّ الحقيقة لا يتقدمها شىء . وفى الوقت ذاته هناك إعطاء للجمال حقه الذى يستحق ، فهو لا يبخس وفى الوقت ذاته هو لا يعطى فوق ما يستحق .

وفيما يتصل بالغزو الأجنبى الذى يتهددنا نحن المسلمين ، هو لا يقف عند الشرور التى تصل إلينا ، وإنما يتجاوزها إلى الشرور التى نذهب نحن إليها راضين أو مكرهين . أعنى تلك الأفواج الهائلة من المسلمين التى تذهب باستمرار وانتظام إلى تلك البيئات . إنّ علينا أن نعمل جاهدين كل الوسائل التى تجعل اتجاه المسلمين فى سفرهم إلى داخل العالم الإسلامى ما أمكن . ولا يخفى على المسلمين الغيورين الوسائل التى تؤدّى إلى هذه الغاية التى فيها بإذن الله تعالى للمسلمين خير الدّنيا وخير الآخرة . ومن فضل الله تعالى علينا نحن المسلمين أنّ لدينا كل المقومات الروحية والمادّيّة ، التى لو أحسنا استغلالها لأغنت الأمة الإسلامية عن أن تحتاج لأن ترحل عن ديار الإسلام من أجل أى غاية شريفة من الغايات . والمسلمون وراء ذلك مطالبون بأن يترجموا إلى عمل حديث المصطفى ﷺ : تناكحوا تناسلوا فإنّى مباه بكم الأمم يوم القيامة : وقال تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأمم[2] وحينما تخلص السرائر ، وتصدق النيات ، وتترجم الأمانى الطيبة إلى أعمال طيبة . يكون المسلمون بإذن الله تعالى قد مارسوا مسئوليتهم كخير أمّة أخرجت للناس ، من أجل تحقيق قوله تعالى[3] : **﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على**

---

(١) فقه السنة ٢/٢٠٠

(٢) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حنبل .

(٣) سورة الفتح ٢٨

الدّين كله وكفى بالله شهيدا ﴾ وقوله تعالى[1] :﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾.

---

(١) سورة براءة ٣٣

الخاتمة

بعون من الله تعالى وتوفيق ، درسنا فى الصفحات السابقة سورة الأحزاب الكريمة المدنية دراسة متأملة . وكعادتنا فى مثل هذه الأنواع من الدّراسات كانت عنايتنا كبيرة بمحاولة تبيين مظاهر الإعجاز الأسلوبى فى السورة الكريمة ، وأنواع العلاقات بين موضوعات السورة الكريمة وآياتها وأجزاء الآية الكريمة الواحدة ، والدروس التى يمكن استفادتها من منهج السورة الكريمة تربويا . ولما كانت السورة الكريمة المائلة إلى الطول النسبى وذات الموضوعات المتعددة المتنوعة من المدنى من القرآن،ومن بين القضايات التى أشارت إليها ما حدث فى السنة الخامسة من الهجرة،أى بعد أن قطع المجتمع الإسلامى فى المدينة المنورة خطوات واسعة فى مجال النهوض والبناء ، ولا يزال هذا المجتمع بحاجة إلى استكمال عناصر تكوينه ، فقد كان من الطبيعى أن يكون للجانب التشريعى حظّه الموفور فى السورة الكريمة . وكان دورنا بشأن هذه الأحكام مجرّد الاقتباس من المصادر الموثوقة . وبشأن كل الاقتباسات أشرنا إلى مصادرها . ولم نتردد أحيانا فى اقتباس بعض النصوص التى تميل إلى شىء من الطول النسبى باعتبارها فى اعتقادنا ، خير ما أمكن لنا العثور عليه فى بابه ، لأنّ طريقنا فى القراءة ، إذا استثنينا المعاجم والموسوعات وما لف لفها من الأجزاء غير ذوات العلاقة بموضوع الدراسة ، أن نستوعب قراءة الكتاب كله من أوله إلى آخره . وإنّ من صميم أهدافنا من هذه الاقتباسات أن نربط القارى الكريم بتراثنا الإسلامى العريق ، بقصد أن تذوب – بإذن الله تعالى – الفوارق بين ما يسمى بالقديم وبالحديث من أجل مستقبل علمى إسلامى زاهر باهر ، يعيد إلى الأمة الإسلامية التى أراد الله تعالى لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس ، غابر عزها وتالد مجدها ، إنّه على كلّ شىء قدير . وفى الختام أسأل الله تعالى أن يوفقنا لصالح الأعمال وخالصها وأن يتقبلها منا إنّه سميع مجيب . وصلى الله وسلم على سيدنا محمّد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً والحمد لله ربّ العالمين .

فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الآيات	الصفحة
المقدّمة		٥
سورة الأحزاب		١٢
توطئة		٢١
الدّراسة المتأمّلة لسورة الأحزاب		٢٦
١ ــ يا أيّها النّبيّ اتّق الله	الآيات [١ ــ ٣]	٢٧
٢ ــ أُدعوهم لآبائهم	الآية [٤ ، ٥]	٥٢
٣ ــ النّبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم	الآيات [٦ ــ ٨]	٧٤
٤ ــ أذكروا نعمة الله عليكم	الآيات [٩ ــ ١١]	١٠٣
٥ ــ المنافقون	الآيات [١٢،٢٠]	١٣١
٦ ــ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة	الآية [٢١]	١٧٨
٧ ــ من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه	الآيات [٢٢ــ٢٤]	٢٠٣
٨ ــ ردّ الله الّذين كفروا بغيظهم	الآية [٢٥]	٢١٨
٩ ــ انتقام الله تعالى من يهود بني قريظة الغادرين	الآية [٢٦،٢٧]	٢٢١
١٠ ــ أزواج النّبيّ ﷺ واجباتهنّ وحقوقهنّ	الآيات [٢٨،٣٥]	٢٦٤
١١ ــ ماكان محمّد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّين	الآيات [٣٦،٤٠]	٣٢٦
١٢ ــ سراجٌ منير	الآيات [٤١،٤٨]	٣٧٦
١٣ ــ ذلك أدنى أن تقرّ أعينهنّ ولا يحزنّ ويرضين بما آتيتهنّ كلّهن	الآيات [٤٩،٥٢]	٤٠٩
١٤ ــ الله وملائكته يصلّون على النّبيّ	الآيات [٥٣،٦٢]	٤٤٤
١٥ ــ الكافرون ملعونون في الدّنيا والآخرة	الآيات [٦٣،٦٨]	٥٠٧
١٦ ــ تقوى الله ثمرة المنهج القرآنيّ تربويّا	الآيات [٦٩،٧٣]	٥٢١
١٧ ــ بين الحقيقة والجمال		٥٤٩
الخاتمة		٥٨٨
فهرست الموضوعات		٥٨٩
فهرست المصادر والمراجع		٥٩٠

فهرست المصادر والمراجع

القرآن الكريم

: (عزّ الدّين أبو الحسن على بن أبى الكرم) الكامل فى التاريخ بيروت ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م .

ابن تيمية : (أحمد بن عبد الحليم) الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر تحقيق د . صلاح الدّين المنجد . دار الكتاب الجديد بيروت . ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م الإيمان الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ من مطبوعات المكتب الإسلامى دمشق وبيروت . الرّسالة التدمرية نشر قصى محب الدّين الخطيب القاهرة ١٣٨٧ هـ .

ابن الجوزى : (أبو الفرج عبد الرحمن)صيد الخاطر القاهرة الخانجى ١٣٤٥ هـ تصوير المكتبة السلفية .

ابن حجر : (أحمد بن على بن محمّد العسقلانى) الإصابة دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م.

ابن عبد ربّه : (أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسى) العقد الفريد . لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة الطبعة الثانية ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م .

ابن فارس : (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا) الصاحبى فى فقه اللغة . تحقيق السيد أحمد صقر القاهرة ١٩٧٧ م مقاييس اللغة . تحقيق عبد السّلام محمّد هارون . الطبعة الثانية القاهرة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م.

ابن القيم : (أبو عبد الله محمّد بن أبى بكر) طريق الهجرتين وباب السعادتين . دار الكتاب العربى بيروت . بدون تاريخ . زاد المعاد القاهرة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م .

ابن كثير : (إسماعيل بن كثير) تفسير القرآن العظيم . دار إحياء التراث العربى بيروت ١٣٨٨ هـ ١٩٦٩ م مختصر تفسير ابن كثير محمّد على الصابونى . دار القرآن الكريم . الطبعة الثالثة بيروت ١٣٩٩ هـ .

ابن منظور : (جمال الدّين محمّد بن مكرّم) لسان العرب بيروت، ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م .

ابن هشام : (عبد الملك) السّيرة النبوية . الطبعة الثانية حلبى القاهرة ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م وتحقيق محمّد محى الدّين عبد الحميد . دار الفكر . بدون تاريخ .

أبو تمّام : (حبيب بن أوس الطّائى) الدّيوان . مطبعة على صبيح القاهرة ١٣٦١ هـ ١٩٤٢ م.

أبو حيّان : (محمّد بن يوسف بن على بن يوسف) البحر المحيط بيروت أوفست .

أبو سليمان : (د . عبد الوهاب إبراهيم) منظمة الإيجا محمّد الأمريكية . دراسة وتحليل . الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م دار الشروق جدّة .

الألبانى : (محمّد ناصر الدّين) حجاب المرأة المسلمة فى الكتاب والسنة الطبعة الخامسة بيروت ١٣٩٨ هـ .

الأنصارى : (عبد القدّوس) آثار المدينة المنوّرة . الطبعة الثالثة بيروت ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م .

باجودة : (د . حسن محمّد) تأمّلات فى سورة الرّعد ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م تأمّلات فى سورة الفرقان القاهرة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م ديوان عبد الله ابن رواحة دراسة جمع تحقيق القاهرة ١٣٨٢ هـ ١٩٧٢ م الوحدة الموضوعية فى سورة يوسف عليه السّلام القاهرة ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م.

البخارى : (أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل) الصحيح كتاب الشعب ١٣٧٨ هـ .

البنا : (حسن) الجهاد فى سبيل الله دار الجهاد ودار الاعتصام القاهرة ١٩٧٧ م .

الجاحظ : (أبو عثمان عمرو بن بحر) الحيوان لجنة التأليف والترجمة والنشر

القاهرة ١٣٥٧ هـ .
الخضرى : (محمّد) نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين الطبعة الثانية دار المعارف للطباعة بدون تاريخ .
الزّبيدى : (محمّد مرتضى الحسينى) تاج العروس القاهرة ١٣٠٦ – ١٣٠٧ م .
الزّركلى : (خير الدّين) الأعلام الطبعة الخامسة . دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٠ م .
الزّمخشرى : (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر) الكشّاف حلبى القاهرة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م.
سابق : (السيد) فقه السّنّة الطبعة الأولى بيروت ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م .
السّايس : (محمدّ على) تفسير آيات الأحكام القاهرة ١٣٧٣ هـ ١٩٥٣ م .
السّباعى : (مصطفى) السيرة النبوية دروس وعبر مطبوعات المكتب الإسلامى دمشق وبيروت توزيع المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية الدوحة قطر ١٤٠٠ هـ .
السّقّا : (مصطفى) مختار الشعر الجاهلى الطبعة الثانية ١٣٦٨ هـ ١٩٤٨ م .
السمهودى : (نور الدّين على بن أحمد) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى تحقيق محمّد محى الدّين عبد الحميد . دار إحياء التراث العربى بيروت بدون تاريخ .
السيوطى : (جلال الدّين عبد الرّحمن) الإتقان فى علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م تفسير الجلالين . لباب النقول فى أسباب النزول الطبعة الأولى ١٩٧٨ م بيروت .
شمتز : (باول) الإسلام قوّة الغد العالميّة ترجمة د . محمد شامة القاهرة ١٩٧٤ .
الصّالح : (د . صبحى) مباحث فى علوم القرآن . الطبعة الثامنة بيروت ١٩٧٤ .
ضيف : (شوقى) الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعصر بنى أمّية الطبعة الثالثة

دار المعارف ١٩٧٦ .
الطبرى : (أبو جعفر محمد بن جرير) جامع البيان فى تفسير القرآن الطبعة الأولى بولاق ١٣٢٩ هـ .
عبده : (محمد) رسالة التوحيد الطبعة السّابعة عشرة ١٣٧٩ هـ ١٩٦٠ م .
العربى : المجلة .
العقاد : (عبّاس محمود) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م القاهرة .
عياض : (القاضى أبو الفضل عياض اليحصبى) الشفا بتعريف حقوق المصطفى . مصور فى بيروت عن المكتبة التجارية الكبرى بمصر بدون تاريخ .
الغزالى : (محمّد) فقه السيرة الدّوحة قطر الطبعة التاسعة بدون تاريخ .
فلك : (يوهان) العربية ترجمة د . عبد الحليم النجار القاهرة ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م .
الفيروزابادى : (مجد الدّين محمد بن يعقوب) القاموس المحيط .
القرطبى : (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى) الجامع لأحكام القرآن كتاب الشعب بمصر بدون تاريخ .
قطب : (سيد) الجهاد فى سبيل الله دار الجهاد دار الاعتصام القاهرة ١٩٧٧ م فى ظلال القرآن الطبعة المشروعة الثانية ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م دار الشروق .
قطب : (محمد) منهج الفنّ الإسلامى دار الشروق بيروت القاهرة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م .
المتنبى : الديوان بشرح العكبرى الطبعة الثانية القاهرة ١٣٧٦ م ١٩٥٦ م .
مسلم : الصحيح شرح الإمام النووى القاهرة ١٣٤٩ هـ .
المعرى : (اللزوميّات شرح لزوم مالا يلزم) تأليف د . طه حسين وإبراهيم الابيارى ذخائر العرب ١٣ .
المودودى : (أبو الأعلى) الجهاد فى سبيل الله دار الجهاد ودار الاعتصام

١٩٧٧ م الحجاب دار الأنصار القاهرة ١٩٧٧ م نظرية الإسلام وهديه فى السياسة والقانون والدستور بيروت ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م.

الميدانى : (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابورى) مجمع الأمثال تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد . القاهرة ١٣٧٩ هـ ١٩٥٩ م .

الندوى : (أبو الحسن) الأركان الأربعة الطبعة الثالثة ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م دار الفكر بالكويت سيرة خاتم النبيين الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م مؤسسة الرّسالة بيروت لبنان السيرة النبوية الطبعة الأولى دار الشروق جدّة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م النبى الخاتم ﷺ المختار الإسلامى ١٩٧٥ م.

الندّوى : (السيد سليمان) الرّسالة المحمدية الطبعة الثالثة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م دمشق نقله من اللغة الأوردية محمد ناظم الندوى مدير الجامعة العباسية فى بها ولبور .

النووى : (يحيى بن شرف) الأذكار النوويوية بدون تاريخ رياض الصّالحين تصوير بيروت . بدون تاريخ . متن الأربعين النووية ألمانيا الغربية بدون تاريخ .

ياقوت : معجم البلدان بيروت ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م .

وصلى الله على سيدنا محمّد النّبىّ الأمّى وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيراً والحمد لله ربّ العالمين

بمكة ت ٥٧٤٠٢٢٦ ـ ٥٥٦٢٨١٠